

أعجبتة العبارة ، ولم يفهم المعنى ، فحاول أن يملأها بأي معنى .
 ثبت العلاقة بين الحرب والوطن ، حتى تحولت الى هاجس . اذا ودعت شيئاً فلا بد
 من أن تعانق شيئاً آخر . وداع الحرب معناه لقاء الوطن . فهل هذا ما حدث ؟
 شطب ما كتب . وحاول تركيب المعادلة من جديد : وداعاً أيتها الحزب ! . غالى أين
 يقودني هذا الوداع ؟ هل هو طريق لقاء الوطن ! . اذا ودعت شيئاً كهذا فلا بد من أن
 تودع نفسك .

أعاد النظر : أن للفكرة أن تسكن صخرة . وأن للدم أن يتحول الى سنبله . أن للوطن
 أن يترجل عن صليبه وعن تجريدي . أن له أن يعود من رحلة القصائد والمؤتمرات
 والتبرعات . وأن للوطن أن يصير وطننا ! . عادياً ، وبسيطاً ، ومملاً لكل البلدان . أن
 له أن يكون تقليدياً يومياً ، لا إبداعاً شعرياً ! . وأن له أن يصير شيئاً قابلاً للملامسة . .
 واللعنة ! .

كان الحارس نائماً . وكان طم سرحان يتجول ، حراً ، في فضاء الزنزانة :

من أجل هذا تكون الحرب . من أجل هذا يكون الموت . ونحن لا ننفق العمر كله ،
 ونهدر الحلم والرؤيا الا من أجل خيبة أهل واقعية واحدة . من أجل صدمة على حجر .
 ومن أجل أن نعرف كل العذاب ، الا عذاب الندم . أيها الوطن المتسكع بين الحروب !
 لم تكن جميلاً فحسب ، ولكنك كنت قاتلاً في جمالك ، وجميلاً في قتلك . فماذا صرت الآن ؟
 لقد حملناك من أول العمر الى كل الحروب من أجل أن تكون فنكون . فماذا صرت الآن ؟
 لقد نزلنا من القصيدة الى الرضا بالخيبة من أجل أن تكون . وماذا حدث ؟ حين كنت —
 لم تكن . وحين كنا — لم تكن . وفي الحرب قلنا : تكون . وهنا نحن نقول للحرب :
 وداعاً . فماذا تكون ؟ .

عثر على نفسه يبكي . اختلط الدمع بالكلمات وبالخلم ، فتحول الوطن ، أمامه ، الى
 لوحة غامضة . « لم تكن واضحاً الا في القلب أيها الوطن » .
 وخاطب نفسه : يا سرحان ! انتظر قليلاً . ان الجنون حكمة . ولكن ليس للحكمة
 جنون .

وحاول أن يعدل العبارة :

وداعاً أيتها الحرب . . وداعاً أيتها الحرية ! .

أعجبه التعديل ، ولم يفهم المعنى ، فحاول أن يفزوه ، حاول أن يعترضه .

واكتشف العلاقة بين الحرب والحرية ، حتى تحول الى هاجس آخر . وتذكر : حين
 جاءت الحرب كالفرح ، هكذا كتب دقيقتئذ ، غاصت جدران الزنزانة في لحمه ، فحمله
 وسار الى الشاطئ . ورأى من بعيد شعوباً تعثر على ارادتها وطاقاتها وتسير الى
 الحرب لتبدع حريتها .

وفي منتصف اقتحام الحرية ، أعادوا الشعوب الى بيوتها وأسرها . وأعادوا الحرب
 الى مؤسستها . وأعادوه الى الزنزانة . [انتهت الحرية وأعيد الناس الى واجباتهم
 الوطنية] .

باب واحد لأكثر من زنزانة .

ومرة ثانية ، كان سرحان يصب نفسه في مأزق . « أن أبدع مأزقي بيدي خير لي من
 أن يعيروني فرحاً بالاجرة من أجل أن يشرعوا الخطأ » .